﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: 69 - 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِمَا قَبْلَهما:

ربطُ أقاويل المُفترين، بما تستحقُّه منَ الوعيد بالعذابِ الشَّديدِ

لَمَّا بيَّن الله تعالى بالدَّليل القاهرِ أنَّ إثباتَ الولد لله تعالى قولٌ باطلٌ، ثمَّ بيَّن أنَّه ليس لهذا القائل دليلٌ على صحَّة قولِه؛ إذ ظهر أنَّ ذلك المذهبَ افتراءٌ على الله، ونسبةٌ لما لا يليقُ به إليه؛ وبكَّتهم عليه مواجهةً - أتْبعَه بما يشيرُ أنَّ مَن هذا حالُه، فإنَّه لا يُفلحُ البتَّةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَفْتَرُونَ﴾: أصلُ الفَرْي: القَطْعُ والشَّقُّ، والإفْراءُ للإفساد، والافْتِراءُ فيهما، وفي الإفساد أكثرُ[2] والفِرْيَةُ الكذِبُ، فَرَى كَذِبًا فَرْيًا، وافْتَراهُ: اخْتَلَقَه، وفي التَّنْزيلِ العزيز: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: 38]؛ أي اخْتَلَقَهُ[3] قال السَّجستانيّ: "الافتراء: العظيم منَ الكذِب، يُقَال لمن عمل عملًا، فَبالغ فيهِ إنَّه ليفري الفريَ يَعْنِي لَيقطعُ الأمرَ العجيبَ"[4]. والمرادُ في الآية: كلُّ هذه المعاني مجتمعةً.

2) ﴿مَتَٰعٌ﴾: أصْلُ المتع: الامتدادُ والارتفاعُ[5]، والمتُوع هو امتدادُ الشَّيء مع قوَّتِه وكمالِ حاله: كتلك الموصوفات، حيث يُلحظُ فيها

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/282، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/160.
(2) الرّاغب، المفردات: (فرى).
(3) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (فرى).
(4) السّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 103، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 154.
(5) الرّاغب، المفردات: (متع).

الامتدادُ طولًا أو بقاءً مع جَوْدةٍ وكمالِ حالٍ؛ ولذا استُعملَ فيما يبلُغ به الشَّيءُ ذلك مِن قوَّة باطنةٍ وزادٍ وأسْبابِهما. والتَّركيب مُستعملٌ في معنى الإبقاء دهرًا مع الزَّاد ومُستلزماتِ المعيشة، قال تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: 3]، أي: يُبْقيكم بقاءً في عافية إلى وقت وفاتِكم، ولا يستأصلُكم بالعذاب، ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: 98][1]، والمتاعُ: ما يَستمتعُ به الإنسانُ في حوائجه مِن أمتعة البيتِ ونحوِه مِن كلِّ شيءٍ. والدُّنيا متاعُ الغُرور، وكلُّ شيءٍ تمتّعْتَ به فهو متاع، تقول: إنَّما العيشُ متاعُ أيَّام ثمَّ يزولُ[2]، والمقصودُ في الآية: نفعٌ فانٍ غارٌّ ولو طال.

3) ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾: أصلُ الرُّجُوع: "العودُ إلى مكانٍ منه البدوُّ، سواءٌ أكان مكانًا أو قولًا أو فعلًا، وسواء أكان العَودُ بذاته أو بجُزءٍ مِن أجزائه أو بفعْلٍ مِن أفعاله"[3] تَقُولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا، إذَا عادَ[4]. والمرجِعُ: مَصدَرٌ ميميٌّ بمعْنَى الرُّجوعِ، وهو العَودُ إلَى الشَّيْءِ، ومعْنَى الرُّجُوعِ إلى اللّه: الرُّجوعُ إلى وَقْتِ نَفاذِ حُكْمِهِ المُباشِرِ فِيهِم، ويجوزُ أن يكونَ المَرجِعُ كنايةً عنِ الموتِ[5]، والمقصودُ في الآية: معادُكم إلى اللّه تعالى.

4) ﴿نُذِيقُهُمْ﴾: الذَّوقُ أصلٌ واحدٌ، وهو "اختبارُ الشَّيءِ مِن جِهَةِ تَطَعُّم، ثمَّ يُشتقُّ منهُ مجازًا يُقال: ذُقْتُ المأكولَ، أذوقُهُ، ذَوْقًا، وذُقْتُ ما عند فُلانٍ: إذا اختَبرتهُ"[6]، وذَوَّقَهُ الطَّعامَ: جَعَلَهُ يَخْتَبِرُ طَعْمَهُ بِلِسانِهِ. والذَّوق وجودُ الطَّعم بالفم، واستُعملَ في العذاب بكثرة، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدّخان: 49]، واستُعملَ في الرَّحمة أيضًا، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [هود: 10]. فإن كان التَّذوّقُ للنِّعْمَة زيادةً في التَّنعُّم، فالتَّذوُّق للعذاب زيادةٌ في الألم، وهذا هو المرادُ منَ الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وجَّه ﷻ الخطابَ إلى نبيِّه ﷺ، فقال: قلْ يا محمَّدُ: إنَّ الذينَ يَختَلِقونَ على اللّه

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (متع).
(2) الخليل، العين: (متع).
(3) الرّاغب، المفردات، والسَّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ، والزبيدي، تاج العروس: (رجع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رجع).
(5) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 11/257، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/223.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذوق).

الكَذِبَ لا يَفوزونَ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، لهم في الدُّنيا متاعٌ قليلٌ، ثمَّ إلينا مَصيرُهم، ثمَّ نُذيقُهم في النَّارِ العذابَ المُوجِعَ؛ بسبَبِ كُفرِهم باللهِ[1].

مَـنِ افـتَرَى على الـلـه الـكـذِبَ، خـسـرَ الـدُّنـيـا والآخرةَ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ أسلوبِ الاستئنافِ:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، استئنافٌ افتُتح بأمرِ النَّبيِّ ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين على سبيل الإنذارِ والتَّهديدِ: إنَّ الذين يفترون على اللهِ الكذبَ، بنسبةِ الولدِ إليه، والشَّريكِ له، لا يفلحون ولا يفوزون بمطلوبٍ[2]، وفيه تلوينٌ للخِطابِ، وتوجيهٌ له إلى سيِّدِ المُخاطَبين ﷺ، ليُبَيِّنَ سوءَ مغبَّتِهم ووخامةَ عاقبتِهم، وفي ذلك إنذارُهم عنِ الاستمرارِ على ما هم فيه، ولغيرِهم عنِ الوقوعِ في مثلِه[3].

تهديدُ المُفترين بـبـيـانِ سـوءِ عاقبتِهم، ردْعًا لهم ولغيرِهم

سِرُّ الأمرِ بالفعلِ ﴿قُلْ﴾:

قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾، تنبيهٌ للسَّامعين إلى وعْيِ ما يَرِدُ بعد الأمر بالقَوْلِ، بأنَّه أمرٌ مُهِمٌّ، بحيث يُطلبُ تبليغُه، وذلك أنَّ المقول قضيَّةٌ عامَّةٌ، يحصلُ منها وعيدٌ للّذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، على مقالتِهم تلك، وعلى أمثالِها كقولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: 139] وقولِهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء: 90]، وأمثالِ ذلك، فذلك كلُّه افتراءٌ على اللهِ؛ لأنَّهم يقولونَه على أنَّه دينٌ، وماهيَّةُ الدِّين أنَّه وَضْعٌ إلهيٌّ، فهو منسوبٌ إليه، ويحصلُ من تلك القضيَّة وعيدٌ لأمثال المشركين مِن كلِّ مَن يفتري على اللهِ ما لم يقُلْه، فالمقولُ لهم ابتداءً

تنبيهُ السَّامِعين إلى الـوعْـيِ بما يَـرِدُ، بعد الأمرِ بالقَوْلِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/230، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/361، والبغويّ، معالم التّنزيل: 2/428، والخازن، لباب التّأويل: 2/454.

(2) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 7/101.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/163، والآلوسي، روح المعاني: 6/147.

همُ المشركون[1]، فلا يختصُّ هذا الوعيدُ بالصُّورة المذكورةِ، بل كلُّ مَن قال في ذات اللّه تعالى، وفي صفاته قولًا بغير علْمٍ وبغير حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ؛ كان داخلًا في هذا الوعيدِ[2].

دَلالةُ ﴿إِنَّ﴾ بعدَ الأمرِ:

أهـميَّـةُ تقـويـةِ المعنى وترسيخِه في ذهن السَّامعِ

بيَّن ربُّنا ﷻ في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ أنَّ مَن هذا حالُه في الافتراء واختلاقِ الكذب، فإنَّه لا يُفلحُ البتَّةَ[3]، فأكَّدَ سبحانه عدمَ فلاحِهم بكلمة ﴿إِنَّ﴾[4]؛ تقويةً لهذا المعنى السَّديدِ وترسيخًا للوعيدِ الشَّديدِ.

أثرُ الاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

إيـضـاحُ حـالِ المُـفـتـريـن ومـن شـابـهَـهُـم، وشـاركَـهُـم في حُكم الوعيدِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ عامٌّ يشملُ مَن نسَبَ إلى اللّه الولدَ، ومن قال في اللّه وفي صفاته قولًا بغير علْمٍ، وهو داخلٌ في الوعيد بانتفاءِ الإفلاحِ[5]، فالمرادُ بالموصول ما يَعُمُّ أولئك المخاطَبين وغيرَهم مِمَّن تكون هذه صفتَهم كائنًا مَنْ كانوا[6].

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظِ (الافتراء):

إيـضـاحُ أنَّ الافـتـراءَ، هو ارتـكـابُ مـا لا يَـصْـلُـحُ قـولًا وفِعلًا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾: الافتراءُ: افتعالٌ مِنَ الفَرْيِ، وهو أقبحُ الكَذِبِ وأعظمُه، ويكونُ في القول والفعل، فيُقَال لمَن عَمِلَ عملًا، فَبَالغ فِيهِ إنَّه لَيَفْرِي الفَرْيَ، يَعْنِي لَيقطعُ الأمرَ العَجيبَ[7]، وأصلُ الافتراء مِنَ الفَري، وهو القَطْعُ ولكوْنِ قطْعِ الشَّيءِ مَفْسدةً له - غالبًا - غلبَ على الإفساد، واستُعمِلَ في القرآن بمعنى الكذبِ والشِّرك والظُّلم، فهو ارتكابُ ما لا يصلحُ أن يكونَ قَوْلًا أو فِعْلًا،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/232.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 134/17.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 134/17.
(4) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3612.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/85.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 6/147.
(7) السِّجِسْتانيُّ، غَريبُ القُرْآنِ، ص: 103.

وهو الأليَقُ بوصف المُشْرِك، فيقعُ على اختلاقِ الكذِبِ، وارتكابِ الإثم، وهو المُراد هُنا، فالمرادُ معنًى عامٌّ وهو ارتكابُ ما لا يصلحُ[1]، وإنَّما جعلَ الله تعالى المشركَ مفتريًا؛ لأنَّه قال زُورًا وإفكًا بِجُحودِهِ وَحدانيَّةَ الله، وإقرارِه بأنَّ لله شَريكًا مِنْ خَلْقِهِ وصاحبةً أو ولدًا؛ فَقائلُ ذلك مُفترٍ، وكذلك كلُّ كاذب، فهو مُفْتَرٍ في كَذِبِهِ مُختلِقٌ له[2].

دَلالةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿عَلَى ٱللَّـهِ﴾:

بيانُ أنَّ الافتراءَ مع عِظَمِ الجُرمِ فيه، يعظُمُ بحسبِ المُفترَى عليه

قوله تعالى: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: قُدّمت كلمة ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾، على كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ لبيان شناعةِ الافتراء، وأنّه على ربّ الوجودِ ومُنشئِه وبارئِه[3]؛ فالافتراءُ يكبرُ ويعظُمُ بحسبِ المُفترَى عليه، وهؤلاء افتَرَوا على خالق الوجودِ، وهو الله ﷻ[4]؛ فافتراؤهم أعظمُ افتراءٍ، واجتراؤهم أعظمُ اجتراءٍ.

نُكتةُ اجتماعِ الافتراءِ والكذبِ:

تأكيدُ عِظَمِ فِريتِهم باختلاقِهم للكذب قولًا وعملًا

قوله تعالى: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: الافتراءُ كَذِبٌ واختِلَاقٌ، يُقال: فَرى فلانٌ الكَذبَ يفْريه، إذا اخْتَلقه، وافترى فلانٌ على فلان: إذا قَذَفَهُ بما ليس فيه، أو قَذَفَ أبوَيْه، وأصْلُ الفَرْي: قَطْعُ الشَّيْءِ؛ و(الافتراء) الاختلاقُ، وهو ما عَظُمَ مِنَ الكَذِب، وكذلك استُعمِلَ في القُرآن في الكذِب والشِّرك والظُّلْم[5]، والافتراء كما يُطلقُ على القول يُطلقُ على الفعل[6]؛ فذِكْرُ الكذبِ مع الافتراء للتَّأكيد[7]، وللدَّلالةِ على قُبحِ فعلِهم، وعاقبتِهم السيِّئة.

(1) الآلوسي، روحُ المعاني: 53/5.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 451/8.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3611.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3611.
(5) الأزهريُّ، تهذيبُ اللُّغةِ: (ر ف ا)، والرّاغب، المُفرداتُ: (فرى)، وابنُ قُتيبة الدّينوريُّ، غريبُ القُرآنِ، ص: 31، 128، 280، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 154.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 7/192.
(7) القَنّوجيّ، فتح البيان: 3/261.

سِرُّ التَّعبيرِ بالمضارع:

التَّدليلُ على عدمِ فلاحِ المُفترين حالًا ومآلًا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾: التَّعبيرُ بالمضارع في كلمة ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾ يدلُّ على الاستمرار؛ فَمِن شأنِ الكاذبِ على الله تعالى ألَّا يُفْلِحَ[1]؛ حالًا ومآلًا، فهم " لا يفوزون بما يُؤمِّلون مِنَ النَّجاة مِن عذاب الآخرة، والتَّمتُّع بنعيمِها، بشفاعة الولدِ أوِ الشُّركاءِ الذين اتَّخذوهم له تعالى، أو فِدَائِهم لهم مِن عذاب النّار"[2].

سِرُّ إيثارِ لفظِ: ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾:

وَعيدُ المُفترين بعدمِ النَّجاة مِنَ المكاره، وعدَمِ الفوزِ بالمَطالبِ

﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾: الفلاحُ: حصولُ ما قصدَهُ العاملُ مِن عملِهِ بدونِ انتقاضٍ ولا عاقبةِ سوءٍ، فنفْيُ الفلاحِ هنا نفيٌ لحصولِ مَقصودِهم مِنَ تَكذيبِ محمَّدٍ ﷺ[3]؛ وفي نفْيِ الفلاح عنهم توعُّدٌ لهم، بأنَّهم لا يَظفرون ببُغيَةٍ ولا يَبقون في نعمةٍ[4]، ولا ينجون مِن مكروهٍ، ولا يفوزون بمطلوب أصلًا، ويندرجُ في ذلك عدمُ النَّجاة مِنَ النَّار، وعدمُ الفوز بالجنَّة، لذا اقتصرَ عليه في مقام المبالغةِ في الزَّجرِ عنِ الافتراء عليه سُبحانه[5].

دَلالةُ الاستئنافِ البيانِّي:

متاعُ الدُّنيا إلى زوالٍ، ومتاعُ الآخرةِ ضمانٌ لحُسنِ المآلِ

في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّ القضاءَ عليه بعدمِ الفلاحِ يتوجَّهُ عليه أن نقول: نحن نراهُم في عزَّة وقُدرةٍ على أذى المسلمين، وصدِّ النَّاسِ عنِ اتِّباعِ الرَّسول ﷺ! فهو جوابٌ على تقدير سؤالٍ، مُفاده أنَّ قائلًا قال: (كيف لا يفلحون وهم في

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3611.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 373/11.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/233.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 3/131.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/147.

الدُّنيا مُفلحون بأنواعٍ ما يتلذَّذون به؟!) فيُجابُ السَّائلُ بأنَّ ذلك متاعٌ في الدُّنيا لا يُعبأُ به، أو لهم متاعٌ في الدُّنيا زائلٌ لا بقاءَ له، ثمَّ يَلقَون الشَّقاءَ المؤبَّدَ في الآخرة، وإنَّما عدمُ الفلاح مَظهرُه الآخرةُ[1].

نُكتةُ بيانِ المحذوفِ في: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾، وأثرُه في المعنى:

اعتبارُ افترائِهم مِـن جُـملـةِ مَتاعِهم

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: متاعٌ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هو، أو ذلك متاعٌ أو يكونُ ﴿مَتَٰعٌ﴾ مبتدأً خبرُه محذوفٌ أي: لهم تمتُّعٌ في الدُّنيا، وساغَ الابتداءُ به لوصْفِه[2]. وما ذُكِرَ مِن كوْنِ ﴿مَتَٰعٌ﴾ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ هو الذي ذهب إليه غيرُ واحدٍ مِنَ المُعْربين، غير أنَّهم قدَّروا المبتدأ (حياتُهم أو تقلُّبُهم أو افتراؤهم)، واعتُرِض على تقدير الأخير (افتراؤهم) بأنَّ المتاعَ إنَّما يُطلقُ على ما يكونُ مَطبوعًا عند النَّفس، مرغوبًا فيه في نفسه، يُتَمتَّعُ به ويُنتفعُ، وإنَّما عُدمَ الاعتدادُ به لسرعة زوالِه، ونفسُ الافتراء عليه سُبحانه أقبحُ القبائح عند النَّفس، فضلًا عن أن يكون مطبوعًا عندَها، وأُجيبَ بأنَّ إطلاقَ المتاعِ على ذلك باعتبار أنَّه مطبوعٌ عند نفوسِهمُ الخبيثةِ، وفيه انتفاعٌ لهم به، حَسبَما يرونَه انتفاعًا، وإن كان مِن أقبح القبائح، وكانَ غيرَ مُنتفعٍ به في الأمر نفسِه، أي: افتراؤهم متاعٌ في الدُّنيا يقيمون به رئاستَهم في الكفر أو حياتِهم، ولا يخفى أنَّ الوجه الأوَّلَ مع هذا أوجَهُ[3].

دَلالةُ التَّنكير في: ﴿مَتَٰعٌ﴾:

كونُ المتاعِ زائلًا، يَقْتضي التَّحقيرَ والـتَّـصـغـيرَ والتَّهوينَ

التَّنكيرُ في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: للتَّحقيرِ والتَّقليلِ[4]، أي: ما يقعُ لهم في هذه الدُّنيا مِن زُخرفِها ومتاعِها، هو متاعٌ قليلٌ،

(1) أبو حيّان: 85/6، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 233/11.
(2) البيضاويّ، أنوار التنّزيل: 3/119، ومحيي الدّين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 4/275.
(3) البروسويّ، روح البيان: 4/64.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/147.

وظِلٌّ زائلٌ[1]، فهؤلاء لهم متاعٌ في الدُّنيا حقيرٌ يتلهَّون به في حياة قصيرةٍ، هي الحياةُ الدُّنيا؛ إذ مهما يبلغُ هذا المتاعُ مِنَ العظَمةِ ككثرة مالٍ أو عِظَمِ جاهٍ، فهو قليلٌ بالنِّسبة إلى ما عند اللّه في الآخرة للصَّادقين المُتَّقين[2].

دَلالةُ تقْييدِ المتاعِ: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾:

متاعُ الدّنيا يحملُ أوصافَها، زَوالًا وتقلُّبًا ودناءةً

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعُ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: المتاعُ: المنفعةُ القليلةُ في الدُّنيا، إذ يُقيمون بكذبِهم سيادتَهم وعزَّتَهم بين قومهم ثمَّ يزولُ ذلك، وكلمةُ ﴿مَتَٰعُ﴾ مُؤذِنةٌ بأنَّه غيرُ دائمٍ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [الأعراف: 24]، وتنكيرُه مُؤْذِنٌ بتقليلِه، وتقييدُه بأنَّه في الدُّنيا مُؤكِّدٌ للزَّوالِ وللتَّقليلِ[3]. وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على الخسارةِ المُحقَّقةِ للكافرين، فإنَّ ما يتوهَّمون أنَّه نجاحٌ في الدُّنيا بالحصولِ على المنافع المادّيَّةِ والمعنويَّةِ، لا قيمةَ له أصلًا في مقابَلةِ ما فاتَهُم في الآخرة، مِن ثواب عظيمٍ، ونعيم مُقيمٍ في جِنان الخُلدِ، فإنَّ الدُّنيا لا تُساوي عند اللّه جناحَ بعوضةٍ[4].

دَلالةُ ﴿ثُمَّ﴾:

مرجعُ البشرِ إلى اللّه، حيث تتلاشى الآمالُ، وتبقَى الأعمالُ

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾: ﴿ثُمَّ﴾ للتّراخي الرُّتبيّ؛ لأنَّ مضمونَه محقّقٌ أنَّهم لا يفلحون، فهو أهمُّ مرتبةٍ من مضمون لا يفلحون[5]؛ فـ﴿ثُمَّ﴾ في موضعها مِنَ التَّرتيب والتَّراخي، والتَّراخي زمنيٌّ ومعنويٌّ، أمَّا الزَّمنيُّ فخلافُ الرُّجوع إلى اللّه بعد البعثِ والنُّشورِ وقيامِ السَّاعة، وأمَّا المعنويُّ فما بين مُتعةِ الدُّنيا الفانيةِ، وعذابِ الآخرة الباقي[6].

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/1047.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 11/136.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 233/11.
(4) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 11/222.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 233/11.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3612.

سِرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور: ﴿إِلَيْنَا﴾:

الوعيدُ بانتفاءِ الخلاصِ، يُؤكِّدُ للمُفترين أنْ لا مناصَ

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فيه تقديمُ كلمةِ ﴿إِلَيْنَا﴾، على (مرجع)، وفي ذلك معنى الاختصاصِ، ووراءَه الإنذارُ الشّديدُ، أي: إلينا وحدَنا لا إلى غيرنا رجوعُكُم، وقدِ افتريتُمُ الكذبَ، وعبدتُمْ غيرَ اللّه، فلا بدَّ أن تنالوا الجزاءَ الوفاقَ على ما قدّمتُمْ مِن قولٍ باطلٍ، وعقيدةٍ فاسدةٍ، وشِركٍ بيِّن[1]، فنحاسبُهم حسابًا عَسيرًا على أقوالِهم الذَّميمةِ، وأفعالِهم القبيحةِ[2]، فهو توعُّدٌ بِحَقٍّ[3]، فتقديمُ ﴿إِلَيْنَا﴾ على مُتعلَّقه، وهو المرجعُ للاهتمامِ بالتَّذكير به واستحضارِه، ويجوزُ أن يكونَ المرجعُ كنايةً عنِ الموت[4]، فأشيرَ إلى انتفاء النّجاة عنِ المكروه أيضًا بقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾[5].

دَلالةُ تَكرارِ حرف العطْفِ ﴿ثُمَّ﴾:

مهما طالَ العُمرُ وطابَ، فإلى الله المآبُ

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾: الحرفُ ﴿ثُمَّ﴾ هذا مؤكِّدٌ لنظيره الذي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، على أنَّ المرادَ بالمرجعِ الحصولُ في نفاذ حُكْم اللّه، ثمَّ يُرجعون إلى ربِّهم بالبعث بعد الموت، وما فيه مِنَ أهوال الحشْرِ والحسابِ، فيُذيقُهمُ العذابَ الشَّديدَ، بسببِ كُفرهم بآياته، والافتراءِ عليه، وتكذيبِ رُسله بعد أن قامت عليهمُ الحُجَّة[6].

دَلالةُ الاستعارةِ المَكنيَّةِ التَّبعيَّةِ:

إضافةُ العذابِ النّفسيِّ إلى العذابِ الحِسّيِّ، عذابٌ فوقَ العذابِ

قولُه تعالى: ﴿نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾: استُعْمِلَ التَّجوُّزُ هنا بلفظِ ﴿نُذِيقُهُمُ﴾ عنِ الابتلاء، وملابسةِ العذاب الشَّديدِ، إذ إنَّ الأصلَ في الإذاقةِ أن تكونَ بالفم عن طريق اللِّسانِ، فعبَّرَ عنه بطريق

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3612.
(2) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 7/101.
(3) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 3/131.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/233.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/147.
(6) المراغي، تفسير المراغي: 11/136.

الاستعارةِ المكنيَّةِ التَّبعيَّةِ، حيث شبَّه تعذيبَ هؤلاء بالإذاقةِ، وحذفَ آلة الذَّوقِ وذكرَ صفةً مِن صفاته؛ وإذاقةُ العذاب إيصالُه إلى الإحساس، فأطلقَ عليه الإذاقةَ لتشبيهِه بإحساسِ الذَّوقِ في التَّمكُّن مِن أقوى أعضاءِ الجسمِ حاسّيَّةً، وهو اللِّسانُ[1]، فبُنِيت هذه الاستعارةُ على تشبيه المحسوسِ حسًّا بالمُدرَكِ معنًى، وصَوَّرت هذه الاستعارةُ ما يُصيب مشاعرَهم وأحاسيسَهم، يشعرون به، وكلَّما نضجت جلودُهم بدَّلهمُ اللّه تعالى جلودًا غيرَها[2].

دَلالةُ التَّرقّي في التَّرتيبِ الزَّمنيّ: (المتاعِ، المرجعِ، الجزاءِ):

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾: جاءت هذه الآيةُ الكريمةُ واصفةً أحوالَ المُفترين، في تمتُّعِهم القليلِ في حياتِهم الدُّنيا، ثُمَّ موتِهم ثُمَّ محاسبتِهم، وجاءت هذه العبارةُ على سبيل التَّرقّي والتَّرتيبِ الزَّمنيِّ، فإنَّ ذلك المقصودَ الخسيسَ متاعٌ قليلٌ في الدُّنيا، ثمَّ لا بُدَّ مِنَ الموت، وعند الموت لا بُدَّ مِنَ الرُّجوع إلى اللّه، وعند هذا الرُّجوع، لا بدَّ مِن أن يذيقَه العذابَ الشَّديدَ، بسبب ذلك الكُفرِ المُتقدِّم، وهذا كلامٌ في غاية الانتظام، ونهايةِ الحُسنِ والجَزالةِ[3].

سَوقُ الكلامِ في غايةِ الجَزالةِ، مُفضٍ إلى مقصدِ الدِّلالةِ

نُكتةُ تجاوُرِ الفعلينِ الماضي والمضارع:

﴿كَانُواْ﴾، و﴿يَكۡفُرُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ يُؤذنُ بتَكَرُّرِ ذلك منهم وتجدُّدِه بأنواع الكفرِ[4]؛ فيَبقون في الشَّقاء المؤبَّدِ بسببِ كُفرِهم المُستمرِّ في الدُّنيا[5]، حيث يدلُّ الفعلُ الماضي والمضارعُ هنا على الاستمرار على كُفرِهم يجدّدونَه آنًا بعد آنٍ[6].

الكُفرُ المستمرُّ، مُوجبٌ للعذابِ الدَّائمِ المستمرِّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/234.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3612.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/282.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 234/11.
(5) البروسويّ، روح البيان: 4/64.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3613.

المُتشابهُ اللَّفظيُّ:

توصيفٌ لمتاعِ الدّنيا القليلِ، وأنّ إلى ربِّنا في الآخرةِ المُنتهَى

ملاحظةُ التَّشابهِ بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النّحل: 117]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾، ففي سورة النَّحل، ذكرَ الله ﷻ أنَّ الذين يفترون عليه الكذبَ - أي يختلقونه عليه - كدعواهُم أنَّه حرَّم هذا، وهو لم يحرِّمْه، ونسبتِهم الشّريكَ والولدَ إليه تعالى - لا يفلحون؛ لأنَّهم في الدُّنيا لا يَنالون إلَّا متاعًا قليلًا لا أهميَّةَ له، وفي الآخرة يُعذَّبون العذابَ العظيمَ الشَّديدَ المؤلمَ؛ وأوضحَ هذا المعنى في آية يونس، فقولُه: متاع قليلٌ، بيَّن الله تعالى مَحَلَّه في سورة يونس، بأنّه كائنٌ في الدُّنيا، أي: متاعُهم في الدُّنيا متاعٌ قليلٌ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الافتراءُ والكذبُ:

الافتراءُ أخصُّ منَ الكذبِ؛ وهو أقبحُ الكذبِ وأعظَمُهُ

فالكذبُ عَدَمُ مُطابقةِ الخبرِ للواقعِ[2]، والافتراءُ: افتعالٌ مِنَ الفَرْيِ، وهو أقبحُ الكَذِبِ وأعظمُه، ويكونُ في القول والفعل فيُقَال لمَن عَمِلَ عملًا فَبَالغ فِيهِ إنَّه لَيَفْري الفَرْيَ، يَعْنِي لَيقطعُ الأمرَ العَجيبَ[3]، قَال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾ [المُمْتَحِنَة: 13] وقولُه: ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ [مريم: 27] قيل: معناه عظيمًا وقيل عجيبًا، ووقعَ الافتراءُ في القرآن والمُرادُ به الكذبُ نحوَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ [المائدة: 103]، والشِّرْكُ نحو: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: 48]، والشَّيءُ العَظيمُ، كُلُّ ذلك بِحَسَبِ المقاماتِ الواردةِ في الكتاب[4].

---

(1) محمّد الأمين الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/463.

(2) العسكريّ، معجم الفروق اللُّغويّة، ص: 449.

(3) السّجستانيُّ، غريبُ القرآن، ص: 103.

(4) الرّاغب، المُفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ، والزّبيدي، تاج العروس: (فرى).

فالافتراءُ: أخصُّ منَ الكذب مِن باب الأقوال؛ لأنَّ الافتراءَ كذبٌ في حقِّ الآخَر بما لا يَرْتَضيهِ، بخلافِ الكذبِ فإنَّه قد يكونُ في حقِّ المتكلِّم نَفْسِهِ، ولذا يُقَالُ لمن قال: فَعَلْتُ كذا ولم أفعل كذا، مع عدمِ صدْقِه في ذلك: هو كاذبٌ، ولا يُقالُ: هو مُفْتَرٍ، وكذا مَن مَدَحَ أحَدًا بما ليس فيه، يقال: إنَّهُ كاذبٌ في وصْفِه، ولا يُقال: هو مفترٍ؛ لأنَّ في ذلك ممَّا يرتضيه المقولُ فيه غالبًا. وقد ذكرَ اللهُ قولَ الكفَّارِ: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: 93]؛ لِزَعْمِهِمْ أنَّه أتاهم بما لا يرتضيه اللهُ سُبحانَه مع نِسْبَتِه إلَيْهِ[1]، ولذا يُطلِقُ الفُقهاءُ الفريةَ والافتراءَ على القَذْفِ، وهو رَمْيُ المُحْصَنِ بالزِّنى مِن غير دليلٍ، ومنه قيل: افترى فُلانٌ على فلان، إذا قَذَفَهُ بما ليس فيه، أو قذفَ أبوَيْه[2].

المتاعُ والمنفعةُ:

المتاعُ ما يُتمتَّعُ به، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: 20]، ومتَّعه: مِنَ المتاع، قال اللهُ تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ [لقمان: 24]، ومتَّعَ المطلَّقةَ: أعطاها شيئًا تتمتَّعُ به، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: 236][3]، والمَنْفعة تكونُ حَسَنَةً، وهي ما يُسْتَعانُ به في الوُصولِ إلَى الخَيْرِ، وتكونُ قبيحةً، أمَّا النِّعمةُ فهي ما قُصِدَ به الإحْسَانُ ولا تكونُ إلَّا حَسَنَةً[4]. أمَّا المتاعُ فيدلُّ على منفعةٍ وامتدادِ مُدَّةٍ في خيرٍ وقوَّةٍ وكمالِ حالٍ[5]. والمُتُوعُ: الامتدادُ والارتفاعُ، يقال: مَتَعَ النَّهارُ، ومَتَعَ النَّباتُ: إذا ارتفعَ في أوَّل النَّبات، فالمَتاعُ: انتفاعٌ مُمتدُّ الوقت؛ يقال: مَتَّعَهُ اللهُ بكذا، وأمْتَعَه، وتَمَتَّعَ به، قال تعالى: ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ

المتاعُ كلُّ ما يُنتفَع ويُتبلَّغُ به، والمَنْفعة ما يُستَعانُ به في الوُصولِ إلَى الخَيْرِ

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 450.
(2) الرّاغب، المفردات، وابن قتيبة الدّينوريّ، غريب القرآن، ص: 31.
(3) الحميريّ، شمس العلوم: 6215/9.
(4) العسكريّ، الفروق اللُّغَويّة، ص: 196، والزّبيدي، تاج العروس: (نفع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (متع)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (متع).

﴿٩٨﴾ [يونس: 98] ومُتْعَةُ الحَجِّ: ضمُّ العمرةِ إليه، نحوَ قولِه تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: 196][1]، والمتاعُ في الأصْل: كلُّ شَيْءٍ يُنتفَعُ به ويُتبلَّغُ به ويُتزوَّدُ[2]، والأمتعةُ في قول الله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ [النساء: 102] هي ما بها البلاغُ في الأسفارِ[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (ممتع).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (متع).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 162/9.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»